بريشة اورفيو تامبوري

إزرا پـــاونـــد

يتحـدّث عن فنّـه الشِعـري

اجرى هذه المقابلة ضونالد هول

منذ ان عـاد ازرا باوند الى ايطاليا ، يمضي معظم وقته في التيرول ، مقيما في قصر برونبيرغ مع زوجته ، وابنته ماري ، وصهره الامير بوريس ده راشيفيلتز ، واحفاده . على ان الجبال في هذه المنطقة المجاورة لميرانو ، التي يقصدها الناس طلبا للراحة والهدوء ، باردة في الشتاء ، وباوند يحب الشمس . فكنت اهمّ بمغـادرة انكلترا الى ميرانو ، حين استوقفتني عند الباب برقية تقول : « ميرانو معزولة بالجليد . تعال الى روما » .

كان باوند وحده في روما ، يحتل غرفة في شقة صديق قديم يدعى يوغو دادوني . كان ذلك في بداية آذار (مارس) ، والطقس دافىء جداً على غير عادته . وكانت تعبر نوافذ غرفة باوند القائمة في زاوية الشقة اصوات شارع انجيلو بوليزيانو . وجلست على كرسي كبير ، فيما راح باوند يتنقل متململا من كرسي آخر الى صوفا ثم يعود الى الكرسي . وكان اثر باوند في الغرفة يتجلى في حقيبتي ثياب وثلاثة كتب : هي طبعة فيبر لديوانه «اناشيد» («كانتوز»)، وكتاب لكونفوشيوس، وتحقيق روبنسون لقصائد تشوسر التي كان يقرأها

من جديد .

في الساعات الاجتماعية في المساء (عشاء في مطعم كريسبي ، جولة بين مشاهد ماضيه، بوظة في احد المقاهي) كان يمشي باوند بحيوية متخطرة كالشباب ، فقد اصبح اسد الحي اللاتيني من جديد ، بقبعته العظيمة وعصاه المتينة ووشاحه الاصفر المقذوف الى الوراء ومعطفه الذي ارتداه كلفاع . وكانت تبرز موهبته في التقليد الهزلي ، فتهتز لحيته الرمادية بالضحك .

واثناء ساعات النهار من المقابلة ، التي استغرقت ثلاثة ايام ، كان يتكلم بدقة وترهقه الاسئلة احيانا . وكان باوند يصر على مراجعة ما كان قد قصر عن قوله في اليوم السابق ، كلما عدت اليه في الصباح .

— انك توشك الآن على نفض يدك من « الاناشيد » ، وهذا يثير في ذهني تساؤلات حول بداية هذه القصائد. لقد كتبت رسالة عام ١٩١٦ تكلمت فيها عن محاولة وضع ترجمة لاندرياس ديفوس تستعمل فيها الايقاعات التي استعملتها في ترجمتك لقصيدة « الملاح » . يخيل اليّ ان هذه اشارة الى «النشيد» . هل شرعت في تأليف «الاناشيد» في عام ١٩١٦ ؟

باوند : اظن انني ابتدأت « الاناشيد » حوالي العام ١٩٠٤ . كانت لديّ مشاريع مختلفة ، ابتدأت فيها في ١٩٠٤ او ١٩٠٥ . وكانت المشكلة هي الوقوع على شكل ما — على شيء يكون من المرونة بحيث يستوعب كل ما يلزمني من مواد . كان لا بد ان يكون شكلا من شأنه الا يستثني شيئا ما لمجرد انه لا يناسب هذا الشكل . في التخطيطات الاولى ، كانت مسودة « النشيد » الاول بالنص الحالي الثالثة فيها .

من الواضح انه لا توجد لدينا الآن خريطة طرق صغيرة دقيقة كالخريطة التي كانت لدى ابناء القرون الوسيطة للسماء. ليس الا الشكل الموسيقي يستطيع ان يستوعب المواد، والكون الكونفوشي كما اراه هو كون توترات متفاعلة .

— هل كان اهتمامك بكونفوشيوس قد ابتدأ عام ١٩٠٤ ؟

باوند : كلا . كانت القضية الاولى هي هذه : ثمة ستة قرون لم تعبّأ في رزمة مرتبة واحدة بعد . كانت المسألة هي ان اتصرف بمواد غير موجودة في « الكوميديا الالهية » . لقد وضع هوغو « اساطير القرون » ، على انها لم تكن نتاجا تقييما ، بل قطعا صغيرة من التاريخ مربوطة معا ، لا غير . كانت المشكلة هي بناء حلقة تخدم كمرجع — مفترضا ان العقل الحديث هو العقل القروسطي وقد سكبت عليه طبقات عديدة من الحضارة الكلاسيكية منذ عهد النهضة . كان هذا هو الروح ، ان شئت . فعلى المرء ان يعالج موضوعه الخاص .

— لقد مضى ثلاثون عاما او خمسة وثلاثون عاما على كتابتك اي شعر خارج « الاناشيد » ، باستثناء قصائد الفرد فنيزون . ما هو السبب ؟

باوند : لقد بلغت المرحلة حيث بات كل ما اريد قوله يناسب خطتي العامة، باستثناء ما احس به احيانا من باعث لكتابة الشعر الخفيف . ان قدرا كبيرا من العمل ذهب هدرا لانني كنت اشعر بجاذب يشدني الى شخصية تاريخية مـا ثم اكتشف ان هذه الشخصية لا تؤدي وظيفتهـا ضمن الشكل الشعري الذي استعمله ، لا تجسم قيمة ضرورية . لقد حاولت ان اجعل « الاناشيد » تاريخية (مثال ذلك : ج . جيوفاني ، عن علاقة التاريخ بالمأساة . مقالتان تفصل بينهما عشر سنوات ، في مجلة فيلولوجية ؛ ليستا مرجعا ، لكن لهما اهميتهما) ،لكنني لم احاول جعلها روائية خيالية . والمواد التي يرغب المرء في ادخالها لا تكون صالحة على الدوام . فان لم يكن الحجر من الصلابة بحيث يحافظ على الشكل ، توجب ابعاده .

— كيف تخطط « النشيد » حين تكتبه الآن ؟ هل تتبع برنامجا خاصا للقراءات لكل « نشيد » ؟

باوند : لا اقرأ بحكم الضرورة . باعتقادي ان المرء يعمل بما لديه من مواهب . انني لا اعلم شيئا عن النهج . ان الـ « ماذا » اهم من الـ « كيف » بكثير كثير .

— حين كنت شابا ، تركز اهتمامك في الشعر على الشكل . واصبح تمسكك بالروح المهنية وتكرسك للاسلوب مضرب المثل . وخلال الثلاثين عاما المنصرمة ، استعضت عن اهتمامك بالشكل باهتمام بالمحتوى . هل كان هذا التغيير على اساس مبدأي ؟

باوند : احسب اني جئت على ذلك . ان الاسلوب هو امتحان للصدق والاخلاص . ان كان الشيء لا يستحق ان تحصل له على اسلوب تقوله به ، فانه ذو قيمة تافهة . يجب اعتبار كل هذا كتمرين . ذلك ان ريتشر في « دراسة عن التآلف الصوتي » يقول : « هذه هي مبادىء التآلف الصوتي واللحن المرافق ؛ ولا علاقة لها البتة بالتأليف ، لان التأليف نشاط منفصل عنها كل الانفصال » . والقول الذي ادلى به احدهم ، من انك لا تستطيع كتابة اشكال القصائد البروفينسالية الغنائية بالانكليزية ، هو قول غير صحيح . اما هل هذا مستصوب ام لا ، فمسألة اخرى. كانت هذه الاشكال طبيعية ، عندما لم يكن هناك مقياس اللغة الطبيعية ، وقد حققوها بالموسيقى . في اللغة الانكليزية الموسيقى ذات طبيعة محدودة . في تشوسر نجد الكمال الفرنسي ، وفي شيكسبير الكمال الايطـالي ؛ وهناك كامبيون ولوز. لا اظن انني وصلت الى هذا النوع من انواع الشكل الا عندما بلغت قصائد الجوقة في مسرحية «التراخينياي». ولا ادري ان كنت قد بلغت اي شيء في الواقع، لكن يخيل اليّ انه تمداد لسلم النغم. قد يكون هذا وهما. كنت مهتما على الدوام بالمعاني المتضمنة

في تغير النغم ، في اتحاد اللفظ والنغم .

— هل تعتقد ان الشعر الحر هو شكل امريكي بصورة خاصة؟ احسب ان وليم كارلوس وليمز يعتقد ذلك على الارجح ، ويرى ان الوزن الايامبي وزن انكليزي .

باوند : تعجبني جملة اليوت : « ما من شعر حر بالنسبة لمن ينشد الاتقان فيما يعمله » . بظني ان افضل الشعر الحر ينجم عن محاولة للعودة الى الوزن القائم على الكمية والعدد .

وباعتقادي انه قد يكون « غير انكليزي » دون ان يكون « امريكيا » بصورة خاصة . اذكر كوكتو وهو يدق الطبول في فرقة جاز وكأنه يعالج مسألة رياضية صعبة جدا .

— يشتمل عملك على مدى واسع من الخبرة ، ومن الشكل ايضا . ما هي برأيك اعظم صفة يمكن ان يملكها الشاعر ؟ هل هي شكلية ، ام انها صفة فكرية ؟

باوند : لا ادري ان كان باستطاعتك وضع الصفات اللازمة في ترتيب تسلسلي ، لكن على الشاعر ان يملك فضولا متواصلا. هذه الصفة لا تجعل منه كاتبا بالطبع، لكنه سيجف ويذبل ان لم تكن موجودة فيه . اما السؤال عما اذا كان بامكانه ان يفعل شيئا بشأنها فيتوقف على وجود طاقة ثابتة دائمة . ان رجلا مثل اغاسيز لا يضجر ولا يتعب ابدا . والانتقال من استقبال المنبهات الى التسجيل ، والى تعيين العلاقة النسبية ، يستنفد الطاقة الكاملة لعمر المرء كله .

— هل تعتقد ان العالم الحديث قد غير الطرق التي يمكن للشعر ان يكتب بها ؟

باوند : ثمة قدر كبير من المنافسة التي لم تكن موجودة ابدا من قبل . مثال ذلك الجانب الجدي من ديزني ، الجانب الكونفوشي من ديزني . انه في اتخاذه نفسية عامة ، كما يفعل في « بيري » ، ذلك الفيلم عن السنجاب ، حيث يصار الى تأكيد قيم الشجاعة والحنو بطريقة يفهمها الجميع . ان في ذلك الفيلم عبقرية مطلقة . فانك تجد فيه ترابطا للطبيعة اعظم مما تجده منذ عهد الاسكندر الكبير . فقد امر الاسكندر صيادي السمك بوجوب اعلام ارسطوطاليس ان هم اكتشفوا اي شيء معين ، اي شيء مهم عن السمك . وبذلك الترابط بلغ علم الاسماك وطبائعها النقطة العلمية التي لبث فيها طيلة الفي سنة . ويستطيع الانسان الآن ، بفضل آلة التصوير ، تأمين ترابط عظيم للخصوصيات والدقائق . هذه الطاقة على ايجاد تماس تشكل تحديا هائلا للادب . فهي تثير السؤال عما يجب فعله وعما هو زائد ولا لزوم له .

— وربما كانت تمد المرء بفرصة سانحة ايضا . حين كنت شابا بصورة خاصة ، وحتى اثناء عملك على « الاناشيد » ، غيرت اسلوبك الشعري مرة تلو مرة ، فانت لم تقنع ابدا بملازمة اي اسلوب . هل كنت تحاول ، بصورة شعورية ، توسيع اسلوبك ؟ هل يحتاج

الفنان ان يبقى دائم الحركة ؟

باوند : باعتقادي انه **يتوجب** على الفنان ان يبقى دائم الحركة . فهو يحاول ترجمة الحياة بطريقة لا تبعث الضجر في الناس ، كما انه يحاول تسجيل ما يراه .

— ما هو رأيك يا ترى بالحركات المعاصرة ؟ فانا لم ارَ اية آراء لك حول شعراء جاؤوا من بعد كمينغز ، باستثناء آرائك في بنطنغ وزوكوفسكي. احسب ان امورا اخرى شغلتك.

باوند : ليس باستطاعة المرء ان يقرأ كل شيء . كنت احاول اكتشاف عدد من الحقائق التاريخية ، ولا يقدر المرء ان يرى بمؤخرة رأسه . لست اظن ان هناك اي سجل عن رجل استطاع انتقاد الاشخاص الذين جاؤوا من بعده. فالمسألة ليست الا مسألة مقدار المواد التي يستطيع الفرد قراءتها .

من الاشياء التي قالها فروست في لندن عام... عام ١٩١٢ ربما — ولا اعلم ان كان هذا القول له هو او ان كان من الدرر التي جمعها — هذا القول : « خلاصة الصلاة : يا الهي ، اعرني انا اهتمامك » . وهذا هو موقف الكتّاب الشبان — لا من الآلهة على وجه الدقة !— وعلى المرء عامة ان يحصر قراءته في الشعراء الصغار الذين اوصى بهم شاعر شاب آخر على الاقل ، بوصفه كفيلا لهم . ان مسلكا من هذا النوع قد يفضي بالطبع الى مؤامرة ؛ لكن ، على اية حال ...

فيما يختص بانتقاد الشبان ، لا يملك المرء متسعا من الوقت لاجراء تقدير **مقارن** . والاشخاص الذين يقارن المرء فيما بينهم ويقيس بعضهم بالنسبة للبعض الآخر ، هم اولئك الذين يتعلم منهم . انني الحظ الآن حركة تتململ ، ولكن ... اما بالنسبة للحالة العامة ، فلا ريب ان هناك نشاطا وحيوية . وكال (اي روبرت) لويل جيد جدا .

— لقد قدمت النصائح الى الشبان طيلة حياتك . هل لديك اي شيء خاص تقوله لهم الآن ؟

باوند : ادعوهم الى العمل على تحسين ما فيهم من فضول ، والى عدم التزييف . على ان هذا لا يكفي . فمجرد تسجيل وجع البطن ومجرد تفريغ صندوق النفايات لا يكفيان . في الواقع ، كانت صحيفة « بانشبول » التي يصدرها طلاب جامعة بنسيلفانيا تتخذ لها هذا الشعار : « ان كل احمق اخرق يستطيع ان يكون تلقائيا » .

— كتبت ذات مرة تقول انك تلقيت اربع نصائح مفيدة من اسلاف ادبيين احياء ، وهم طوماس هاردي ووليم بطلر ييتس وفورد مادوكس فورد وروبرت بريدجز . ماذا كانت هذه النصائح ؟

باوند : كانت اكثر النصائح بساطة هي نصيحة بريدجز . افادني بريدجز في تحذيره لي من الجناس . وافادني هاردي في الدرجة الكبيرة التي يركز ذهنه اليها على الموضوع ،

لا على الطريقة . وافادني فورد بصورة عامة من حيث **نضارة** اللغة . وتقول ان ييتس كان رابعهم ؟ نعم ، بحلول عام ١٩٠٨ كان ييتس قد كتب قصائد غنائية بسيطة لم يكن فيها اي انحراف عن النظام الطبيعي للكلمات .

— كنت سكرتيرا لييتس في عامي ١٩١٣ و ١٩١٤ . مـا هو نوع العمل الذي كنت تؤديه له ؟

باوند : كان معظم عملي ان اقرأ عليه بصوت مرتفع . كتاب دوطي « الفجر في بريطانيا » وما شاكل . والمشاجرة ايضا . فالايرلنديون يحبون المخـالفة والمناقضة . لقد حاول ان يتعلم لعبة الشيش وهو في الخامسة والاربعين ؛ كان ذلك مسليا . فكان يلوّح بالشيش في الهواء كالحيتان . وكان احيانا يترك الانطباع بانه اكثر حماقة حتى مني انا .

— ثمة جدل اكاديمي حول تأثيرك على ييتس . فهل اشتغلت معه على شعره ؟ وهل قصقصت من اية من قصائده كما قصقصت من « الارض الخراب » ؟

باوند : لا اذكـر شيئا من هذا . انا متأكد من انني اعترضت على عبارات معينة . حدث ذات مرة في رابالو انني حاولت جهدي منعه من طبع احدى القطع . قلت له انها هراء . وكان كل ما فعله هو انه طبعها وارفقها بمقدمة جاء فيها انني انا **قلت** انها هراء.

واذكر حين اخذ طـاغور يخربش وهو شارد الذهن على اطراف مسودات الطبع ، فقالوا له انها قطع فنية. وقد عرضت خربشاته في باريس. « هل هذا فن ؟ » لم يبدِ احد اهتماما كبيرا بهذه الخربشات ، لكن كثيرين من الناس كذبوا عليه بالطبع .

فيما يتعلق بالتغيير الذي طرأ على ييتس ، باعتقادي انه قد يكون لفورد مادوكس فورد بعض الفضل في ذلك . ما كان ييتس ليقبل قط النصيحة من فورد ، ولكني اعتقد ان فورد ساعده ، بواسطتي انا ، في محاولة التوصل الى طريقة طبيعية في الكتابة .

— هل ساعدك احد ما قط في عملك بقدر ما ساعدت انت الآخرين ؟ اعني عن طريق النقد او القصقصة .

باوند : لا اظن ان احدا ساعدني وانا اعمل على مخطوطاتي، باستثناء فورد (الذي كان يتدحرج على ارض الغرفـة بغير احتشام ، ويمسك رأسه في يديه ، وكان في احدى المناسبات يئن) . كان نتاج فورد يبدو كثير التفكك آنئذ ، لكنه قاد المعركة ضد الكلمات والاصطلاحات القديمة المبتذلة .

— كيف كانت بدايتك كشاعر ؟

باوند : كان جدي ، من ناحية ، يتراسل مع رئيس المصرف المحلي شعرا . وكانت جدتي ، من الناحية الاخرى ، تستخدم الشعر للتراسل واشقـائها . كان امرا مفروغا منه

ان الجميع يكتبون شعرا .

— هل تعلمت في دراساتك الجامعية شيئا افادك كشاعر ؟ اظن انك كنت طالبا زهاء سبعة اعوام او ثمانية .

باوند : ستة فقط . او ستة اعوام واربعة اشهر . كنت اكتب كل الوقت ، خاصة كطالب متخرج . ابتـدأت في صف الفريشمان ادرس « بروت » للشاعر الانكليزي لايامون بالاضافة الى اللاتينية . ودخلت الجامعة على اساس لغتي اللاتينية ؛ كان ذلك السبب الوحيد الذي جعلهم يقبلون بي . وقد خطرت لي بالفعل ، وانا في الخامسة عشرة ، فكرة اجراء دراسة عامة . اما هل كنت شاعرا بالفعل ام لا فذلك امر كان على الآلهة ان تبتّ فيه ، — اما انا فكان عليّ ، على الاقل ، ان اكتشف ما كان قد تم فعله .

— لقد درّست مدة اربعة اشهر فقط ، على ما اذكر . لكنك تعلم ان الشعراء في امريكا الآن هم في معظمهم مدرّسون . هل لديك اية آراء حول علاقة التدريس في الجامعات بكتابة الشعر ؟

باوند : انه العامل الاقتصادي . فعلى المرء ان يحصل ايجار مسكنه بطريقة ما .

— كيف تدبرت امرك خلال كل السنوات التي قضيتها في اوربا ؟

باوند : باعجوبة من الله . الدخل الذي كسبته من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٤ الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٥ ، كان ٤٢ جنيها وعشرة شلنات . ان ذلك الرقم محفور بوضوح في ذاكرتي ...

لم اكن يوما ما بارعا في الكتابة للمجلات . كتبت مرة مقالة تهكمية لمجلة « فوغ » ، على ما اذكر . هجوت فيها رساما لم يكن موضع اعجابي . وظنوا انني وقعت فيها على النبرة الصحيحة بالضبط ، ثم مات فيرهايرن وطلبوا مني ان اكتب كلمة عنه . فذهبت اليهم وقلت : « انكم تريدون تأبينا مشرقا ملذا عن اكثر الناس كآبة في اوربا » . « ماذا ، هل كان رجلا كئيبا ؟ » قلت : « اجل . كان يكتب عن الفلاحين » . « عن الفلاحين (peasants) ام عن الديوك البرية (pheasants) ؟ » « عن الفلاحين » . « اذاً ، علينا ان نتجنبه » .

على هذا النحو كنت اضعف طـاقتي على كسب عيشي — لانني لم اكن اعرف قيمة الصمت .

— قلت ان فورد هو الذي اعانك على التوصل الى لغة طبيعية ، اليس كذلك ؟ لنعد الى لندن من جديد .

باوند : كنت افتش عن لغة بسيطة وطبيعية ، وكان فورد يكبرني سنا بعشرة اعوام ، وعجّل العملية نحو ذاك الهدف . كانت تدور بيننا باستمرار ابحاث حول ذلك الامر .

وكان فورد يعرف خيرة الناس الذين سبقوه الى هناك، ولم يكن لديه احد يلعب واياه حتى جاء ويندام (لويس) وجئت انا وابناء جيلي . لنقل انه كان يعارض بصورة اكيدة لغة ليونيل جونسون واكسفورد .

— بقيت طيلة عقدين او ثلاثة عقود على الاقل على اتصال بجميع كتّاب الانكليزية الرئيسيين في ذلك الزمان وبالكثير من الرسامين والنحاتين والموسيقيين . فاي من هؤلاء الناس جميعا كان اكثرهم اثارة لاهتمامك ، واكثرهم تنبيها لك ، كفنان ؟

باوند : احسب انني كنت ارى فورد وغوديير اكثر مما كنت ارى الآخرين . باعتقادي ان الاشخاص الذين كتبت عنهم كانوا هم اهمّ الناس بالنسبة اليّ . لا حاجة لاجراء الكثير من التعديلات في هذا المجال .

قد اكون حددت عملي وحصرته ، وحددت الاهتمام فيه ، بتركيزي على الذكاء الخاص في اشخاص معينين ، بدل ان انظر الى شخصية اصدقائي الكاملة . كان ويندام لويس يزعم دائما انني لم اكن ارى الناس قط لانني لا الاحظ ابدا مدى خبثهم ورداءتهم ، لا الاحظ كم هم ابناء كلب ملاعين . لم اكن مهتما قط بمثالب اصدقائي ورذائلهم ، بل حصرت اهتمامي في ذكائهم .

— هل كان جيمز يمثل مقياسا ومثالا من نوع ما بالنسبة اليك في لندن ؟

باوند : حينما مات جيمز شعرت انه لم يبقَ هناك احد استطيع سؤاله عن اي شيء. حتى ذلك الحين كنت اشعر ان ثمة احدا ما يعرف . ولما بلغت الخامسة والستين ، وجدت صعوبة كبرى في ان ادرك انني اصبحت اكبر سنا مما كان جيمز حين التقيته .

— هل عرفت ريمي ده غورمون شخصيا ؟ لقد جئت على ذكره مرارا كثيرة .

باوند : لم اعرفه الا عن طريق المراسلة . كانت هناك رسالة واحدة ، وهي رسالة اعتبرت مهمة في نظر جان ده غورمون ايضا ، قال فيها : « اقولها صراحة : ان يكتب المرء كما يفكر ، تلك هي متعة الكاتب » .

— من المدهش انك استطعت ان تجيء الى اوربا وتقرن نفسك بسرعة بافضل الكتّاب الاحياء . هل كنت واعيا لوجود اي شعراء يكتبون في امريكا قبل مغادرتك اياها ؟ هل كان روبنسون يعني اي شيء لك ؟

باوند : لقد حاول ايكن ان يقنعني باهمية روبنسون لكنه لم يفلح . حدث هذا في لندن ايضا . ثم استدرجته ليقول لي ان هناك شابا في هارفرد يكتب اشياء غريبة — وجاء اليوت بعد عام او اكثر من ذلك التاريخ .

كلا ، يجب القول انه حوالي العام ١٩٠٠ كان هناك كارمان وهوفي وكاروان وفانس تشيني . وكان الانطباع حينئذ ان الشعر الامريكي لا يضاهي تماما الشعر الانكليزي

جودة باي شكل. وكانت هناك طبعات موشر (غير المرخص بطبعها) للشعر الانكليزي. كلا ، ذهبت الى لندن لاعتقادي ان ييتس يعرف عن الشعر اكثر مما يعرف اي شخص آخر. صرفت حياتي في لندن اذهب لرؤية فورد في فترات بعد الظهر وييتس في الامسيات. وكان باستطاعتي دوما ان استهل نقاشا بمجرد ان اذكر اسم احدهما امام الآخر . كان هذا هو الاجراء الدائم . ذهبت لادرس على ييتس فاكتشفت ان فورد يخالفه الرأي . لذلك مضيت اختلف معهما كليهما لمدة عشرين سنة .

– كتبت في عام ١٩٤٢ انك اختلفت واليوت بان نعت كل منكما الآخر بالبروتستانتية . ترى متى تم التباعد بينك وبين اليوت ؟

باوند : ابتدأ التباعد بين اليوت وبيني منذ البداية . انلذة الصداقة الفكرية هي انك تختلف وصديقك حول امر ما وتتفقان حول بضع نقاط . ولا بد ان اليوت وجدني متعبا ومزعجا جدا – لانه كان يملك فضيلة الصبر المسيحي طوال حياته وما الى ذلك ، ويرهق نفسه في العمل. ابتدأنا نختلف حول عدد من الامور منذ لقاءنا الاول. كما اننا اتفقنا حول بضعة امور ، واحسب ان كلا منا كان على صواب فيما يتعلق بهذا الامر او ذاك .

– هل كانت هناك نقطة معينة شعرت فيها انكما، من الناحيتين الشعرية والفكرية ، اكثر تباعدا مما كنتما ؟

باوند : هناك المشكلة الكاملة لعلاقة المسيحية بالكونفوشية ، وهناك المشكلة الكاملة للانواع المختلفة من المسيحية . هناك الصراع من اجل صحة المعتقد – اليوت يدافع عن الكنيسة ، وانا ادافع عن لاهوتيين معينين . يخيل لي ان فضول اليوت كان ، بمعنى ما ، مركزا على عدد اقل من المشكلات . لكن هذا بحد ذاته كثير . ذلك ان الافق الفكري في الواقع لدى جيل التجربة والاختبار كان بكامله مسألة مُثُل فردية خاصة لا غير .

– هل تعتقد انكما ، بوصفكما شاعرين ، شعرتما بالتباعد بينكما على اسس تقنية ، لا علاقة لها بمواد مواضيعكما ؟

باوند : باعتقادي ان التباعد كان اولا اختلافا في مادة الموضوع . لا ريب انه يملك لغة طبيعية . ويخيل اليّ انه قدم خدمات عظيمة جدا ، في اللغة التي استخدمها في المسرحيات ، وفي كونه استطاع اقامة اتصال ببيئة موجودة ، وبحالة ادراك قائمة .

– دعني اغير الموضوع الآن ، فاطرح عليك بضعة اسئلة تتعلق بسيرة حياتك اكثر مما تتعلق بالادب . لقد قرأت انك ولدت في هيلي ، بولاية ايداهو ، عام ١٨٨٥ . لا بد ان تلك المنطقة كانت خشنة قاسية في ذلك الحين ؟

باوند : غادرت تلك المنطقة وعمري ثمانية عشر شهرا ولا اذكر الخشونة .

– الم تترعرع في هيلي ؟

باوند : لم اترعرع في هيلي .

– ماذا كانت عائلتك تفعل هناك حين ولدت ؟

باوند : افتتح والدي مكتب اراضي الحكومة هناك . نشأت بالقرب من فيلدلفيا . في ضواحي فيلدلفيا .

– اذاً فالهندي الاحمر المتوحش من الغرب لم يكن ...؟

باوند : الهندي الاحمر المتوحش من الغرب اسطورة زائفة ، ومساعد مأمور فحص العملة لم يكن واحدا من ابرز قطاع الطرق على الحدود .

– لكن **صحيح**، على ما اعتقد، ان جدك بنى سكة حديد. ما هي قصة هذه السكة؟

باوند : اوصل والدي خط سكة الحديد الى شلالات شيبيوا ، فتآمروا عليه ومنعوه من شراء اي قضبان للسكة . وقد ذكرت ذلك في « الاناشيد » . وذهب جدي الى شمالي ولاية نيويورك وعثر هناك على بعض القضبان في طريق مهجورة ، فاشتراها وشحنها ، ثم استخدم حظوته لدى عمال قطع الاخشاب لاكمال خط السكة حتى شلالات شيبيوا . ان ما يتعلمه المرء في بيته يتعلمه بشكل لا يتعلمه به في المدرسة .

– هل ابتدأ اهتمامك الخاص بالعملة وضربها نتيجة لعمل والدك في دار سكّ العملة ؟

باوند : باستطاعتي التحدث طويلا عن هذا الامر . كانت مكاتب الحكومة في ذلك الحين اقل رسمية مما هي الآن، مع انني لا اذكر ان اي احداث سواي دخلوا تلك المكاتب وزاروها . انهم يأخذون الزائرين الآن عبر سراديب زجاجية فيرون الاشياء من بعد ، اما في ذلك الحين فكانوا يطوفون بالزائرين في غرفة الصهر فيرون الذهب مكدسا في الخزنة. وكانوا يقدمون للزائر كيسا كبيرا من الذهب ويخبرونه ان الكيس سيكون له ان هو استطاع اخذه معه . لم يكن باستطاعة الزائر ان يرفع الكيس .

حين عاد الديمقراطيون آخر الامر الى الحكم ، عدّوا جميع الدولارات الفضية من جديد ، وكانت اربعة ملايين دولار من الفضة . كانت جميع الاكياس قد تعفنت وبليت في تلك السراديب الهائلة ، فاخذوا يقذفون بالدولارات الفضية في آلات العدّ بمجارف اكبر من مجارف الفحم . وهذا المشهد ، مشهد النقود التي يقذف بها قذفا كانها قمامة – وهؤلاء الرجال عراة حتى الخاصرة يقذفون بالنقود في السنة اللهيب الكبيرة – ، مثل هذا المشهد يترك في مخيلتك اثرا لا يمحى .

– اعلم انك تعتبر الاصلاح النقدي المالي السبيل الى الحكومة الصالحة الجيدة . واني لاتساءل كيف انتقلت من المشكلات الجمالية الى المشكلات الحكومية . هل كان سبب هذا التحول هو الحرب العظمى التي اودت بحياة الكثيرين جدا من اصدقائك ؟

باوند : حدثت الحرب العالمية بصورة مفاجئة ، ومما لا ريب فيه انني تأثرت كثيرا لرؤية الانكليز — هؤلاء القوم الذين لم يكونوا يفعلون شيئا مطلقا — يملكون زمام انفسهم ويخوضون غمار تلك الحرب ؛ لكنهم سرعان ما تحولوا الى موتى بعد انتهاء الحرب. ومن ثم انفقت الاعوام العشرين التالية في محاولة منع الحرب الثانية . لا اذكر على وجه الدقة اين ابتدأت ادرس القضايا الحكومية . اظن ان مكتب مجلة « العصر الجديد » ساعدني على رؤية الحرب كحدث منفصل ، ولكن كجزء من نظام — حرب تلو اخرى .

— ان احدى نقاط الاتصال بين الادب والسياسة التي تذكرها في مؤلفاتك تثير اهتمامي بصورة خاصة. ففي « الفباء القراءة » تقول ان الكتّاب المجيدين هم الذين يحافظون على فعالية اللغة ، وان هذه هي وظيفتهم . وانت تفصل هذه الوظيفة عن الحزب . فهل يستطيع الرجل الذي ينتمي الى الحزب الخطأ ان يستخدم اللغة بصورة فعالة ؟

باوند : نعم . هذه هي المشكلة برمتها! فالبندقية تبقى صالحة جيدة ، بصرف النظر عمن يطلقها .

— وهل يمكن استخدام اداة نظامية لخلق اللانظام والفوضى؟ لنفرض ان اللغة الجيدة استخدمت من اجل اقامة حكم سيء ؟ الا ينجم عن الحكم السيء لغة سيئة ؟

باوند . اجل ، لكن اللغة السيئة **لا بد** ان تفضي فضلا عن ذلك الى حكم سيء ، في حين انه **ليس** من الضروري ان تفضي اللغة الجيدة الى حكم سيء . وهذه ايضا تعاليم كونفوشية واضحة : اذا كانت الاوامر غير واضحة فانه لا يمكن تنفيذها . قوانين لويد جورج كانت من التشوش والاختلاط بحيث ان المحامين لم يدركوا معناها ابدا . واعلن تاليران انهم يغيرون معنى الكلمات بين مؤتمر وآخر . ان واسطة الاتصال تنقطع . وهذا طبعا هو ما نشكوه حاليا. اننا نعاني من الحملة التي تخاطب اللاوعي دون ان تخاطب العقل. فهم يكررون اسما تجاريا مع الموسيقى بضع مرات ، ثم يعيدون الموسيقى دون الاسم كيما تعطيك الموسيقى الاسم. انني افكر في **الحملة** . فنحن نتألم من استخدام اللغة بغية اخفاء الفكر والتمنع عن اعطاء جميع الاجوبة الحيوية المباشرة . هذا هو الاستخدام الاكيد للدعاوة ، للغة الخطابية — للستر والتضليل ، لا غير .

— ان عملك السياسي الذي يذكره الجميع هو اذاعاتك من ايطاليا اثناء الحرب . هل كنت تدرك انك تخالف القانون الامريكي وانت تذيع تلك الخطب ؟

باوند : كلا ، لقد فوجئت تماما حين سمعت انني خالفته . ذلك انني كنت قد تلقيت ذلك الوعد . فقد مُنحت حرية التكلم على المذياع مرتين في الاسبوع. «لن يطلب منه قول اي شيء يخالف ضميره او يخالف واجبه كمواطن امريكي » . ظننت ان هذا الوعد يغطي

القضية كلها .

– الا يتكلم قانون الخيانة عن « مد يد العون والسلوى الى العدو »، أوليس العدو هو البلاد التي نخوض الحرب ضدها ؟

باوند : ظننت انني اقاتل من اجل نقطة دستورية. اقصد انني ربما كنت مجنونا تماما، لكنني يقينا **شعرت** ان ما افعله لا يشكل خيانة .

لقد اذاع وودهـاوس اثناء الحرب من راديو العدو وطلب البريطانيون منه الا يفعل ذلك . لم يطلب مني احد الا افعل ذلك . لم يصدر اي بيان بانه سيصار الى محـاكمة الذين تحدثوا على الراديو ، الا بعد الانهيار .

وبما انني كنت قد عملت طوال سنوات من اجل منع الحرب ، ولما كنت ارى جنون تلاحم ايطاليا وامريكا في الحرب ...! انني يقينا لم اكن ادعو الجنود الى التمرد . ظننت انني اقاتل من اجل مسألة داخلية تتعلق بالحكم الدستوري . واذا كان باستطاعة اي رجل ، اي رجل فرد، القول انني اسأت معاملته بسبب العرق او المذهب او اللون، فليتقدم ويصرح بتفاصيل ذلك .

لا اعلم ان كنت تعتقد ان الروس ينبغي ان يكونوا في برلين ام لا . ولا اعلم ما اذا كنت اقوم باي عمل مجدٍ ام لا ، وما اذا كان عملي مضرا ام لا . كنت في الجانب المخالف على الارجح . لكن الحكم الصادر في بوسطن قال انه لا توجد هناك خيانة الا ان وجدت خيانة بالنيّة .

ان ما كنت محقا فيه هو التحدث عن حقوق الفرد . فان لم يجرؤ احد على الاحتجاج حين تتجاوز السلطة التنفيذية ، او اي سلطة اخرى ، سلطاتها الشرعية ، فاننا سنخسر جميع حرياتنا . لقد كانت طريقتي في مقاومة الطغيان والاستبداد طريقة خاطئة خلال فترة ثلاثين عاما ؛ ولم يكن لهذا الامر اية علاقة بالحرب العالمية الثانية بوجه خاص . يحصل الفرد منا ، او المتمرد الثائر ، على حقيقة جوهرية ما ، او يرى خطأ ما يمارَس في النظام ، لكنه يرتكب هو نفسه الكثير الكثير من الاخطاء الهامشية بحيث انه يصاب بالارهاق قبل ان يتمكن من اثبات وجهة نظره .

– هل كنت تتوقع ان تحاكم وتدان حين اعتقلك الامريكيون؟ هل توقعت ان تشنق؟

باوند : تملكتني الحيرة اول الامر وتصورت اني اخطأت الحساب في موضع ما . فقد توقعت ان اسلم نفسي وان أُسأل حول ما كنت مطلعا عليه . ففعلت – ولم أُسأل . اعلم انني ، في عدة مناسبات اثناء قيامي بالاذاعات ، دارت في خاطري الفكرة بانه لا يحق لي ان افعل اشياء معينة ، او ان اعمل في خدمة بلد اجنبي . آه ، انه لمن جنون العظمة ان يفكر المرء ان باستطاعته ان يجادل ضد اغتصاب السلطة ، ضد الذين اشعلوا الحرب

ليقحموا فيها امريكا . ومع هذا ، فاني امقت فكرة الخضوع لشيء خاطىء .

ثم ساقوني فيما بعد الى الساحة في شيافاري . كانوا يقتلونهم بالرصاص ، وظننت انني ساقتل في تلك اللحظة وفي ذلك المكان . واخيرا دخل رجل واقسم انه لن يسلمني مطلقا الى الامريكيين الا اذا كنت انا ارغب في ذلك .

— هل كتبت شعرا خلال تلك السنوات التي قضيتها في ايطاليا ؟ اعلم انك كتبت « اناشيد بيزا » عندما كنت معتقلا . فماذا كتبت اثناء تلك السنوات ؟

باوند : جدالات . جدالات . جدالات . آه ، بل قمت بشيء من ترجمتي لكونفوشيوس .

— كيف تفسر انك لم تشرع ثانية في كتابة الشعر الا بعد اعتقالك ؟ فانك لم تكتب اي « نشيد » اثناء سنوات الحرب كلها ، اليس كذلك ؟

باوند : لنرَ — صدرت المقاطع عن آدمز قبل ان تقطع الحرب الصلة بيني وبين الخارج بقليل . كلا . كانت هناك « اورو اي لافورو » . كنت اكتب اشياء اقتصادية باللغة الايطالية .

— لقد نشرت ، منذ اعتقالك ، ثلاث مجموعات من « الاناشيد » ، آخرتها « العروش » قبل زمن يسير . لا بد انك توشك على الفراغ منها . هل لك ان تقول ماذا ستفعل في « الاناشيد » الباقية ؟

باوند : يصعب على المرء ان يكتب « فردوسا » في حين ان جميع الدلائل السطحية تشير الى انه يجب ان يكتب « سفر رؤيا » . من الواضح انه لأسهل بكثير العثور على مكان « لجحيم » او حتى « لمطهر » . انني احاول جمع سجل عن ارفع مراحل الفكر والعقل . كان من الافضل لو اني وضعت اغاسيز على رأس القائمة بدلا من كونفوشيوس .

— هل انت عالق ، متجمد ، في مكانك الى حد ما ؟

باوند : حسنا ، انا عالق ، متجمد في مكاني . السؤال هو : هل انا ميت ، كما قد يتمنى السادة (أ) و (ب) و(ج) ؟ في حالة ما اذا انتهى اجلي على حين غرة ، فهذا ما عليّ ان افعله احتياطا للامر : عليّ ان اوضح الغوامض والالتباسات ؛ علي ان ازيد جلاء بعض الافكار المعينة او الانفصالات . ويجب ان اجد طريقة لغوية لمكافحة انتشار الوحشية وازديادها — مبدأ النظام ضد تفتيت الذرة . بهذه المناسبة ، كان في مستشفى المجانين رجل يصر على ان الذرة لم تفتت ابدا .

الملحمة هي قصيدة تضم تاريخا . العقل الحديث يضم عناصر شاذة . الملاحم السابقة نجحت حين كانت جميع الاجوبة ، او عدد كبير منها ، مفترضة — على الاقل بين المؤلف والجمهور ، او حشد عظيم من الجمهور . لذلك ، فان محاولة وضع ملحمة في عصر اختباري تجريبي هي محاولة متسرعة طائشة . هل تعرف القصة : « ماذا ترسم يا جوني ؟ » « الله ! »

« لكن ليس احد يعرف شكله وهيئته » . « سيعرفون حين اكمل الصورة ! » لم يعد من الممكن الحصول على مثل هذه الثقة .

الواقع ان هناك الآن مواضيع ملحمية : فالصراع من اجل الحقوق الفردية هو موضوع ملحمي ، بصورة متسلسلة من المحاكمة بواسطة المحلفين في اثينا الى قضية انسيلم ضد وليم روفوس ، الى جريمة قتل بيكيت والى كوك والى جون آدمز فما بعد .

ومن ثم يبدو ان الصراع يصطدم بعقبة . ان طبيعة السيادة هي مادة ملحمية ، مع انها قد تكون غامضة بعض الشيء بسبب الظروف.

انني اكتب لاقاوم الرأي القائل ان اوربا والمدنية في طريقهما الى الجحيم . وان كنت الان « اصلب من اجل فكرة » — اعني ، الفكرة الواضحة المترابطة التي تراكمت حولها لخبطاتي — فهي على الارجح الفكرة بان الحضارة الاوربية يجب ان تبقى ، ان افضل صفاتها وخصائصها يجب ان تبقى الى جانب اية حضارات اخرى ، في اي عالم كوني . هل لديك جواب بسيط مرتب ، ترد به على دعاوة الارهاب ودعاوة الترف ؟ لقد عملتُ على مواد معينة ، محاولا تأسيس قواعد واسس يُرجع اليها . حين يكتب المرء بقصد ان يكون واضحا مفهوما، تعترضه دوما مشكلة التقويم والتصحيح دون التخلي عن الصواب . هناك الصراع الذي يخوضه المرء لكي لا يوقّع على الخط المعدّ للتوقيع لمصلحة المعارضة .

— لقد ظهرت الاقسام الثلاثة الاخيرة من « الاناشيد » بعناوين منفصلة . فهل تعني هذه الاقسام المنفصلة انك تتصدى لمشكلات معينة في اقسام معينة ؟

باوند : كلا . كان المقصود من « روك دريل » (« حفر في صخر ») ان تشير ضمنا الى المقاومة الضرورية في طرح فكرة رئيسية معينة وايصالها للقارىء — عن طريق الكد والكدح . لم اكن اتبع اقسام « الكوميديا الالهية » الثلاثة على وجه الدقة . ذلك ان المرء لا يستطيع ان يتأثر الكون الدانتي في عصر اختبارات وتجارب . بيد انني فرقت بين الاناس الذين تسيطر عليهم العاطفة ، والذين يصارعون صُعُدا ، والذين يملكون جزءا من اجزاء الرؤيا الالهية . العروش في «فردوس» دانته هي لارواح البشر الذين كانوا مسؤولين عن حكم صالح جيد. اما العروش في « الاناشيد » فهي محاولة للخروج من الانانية ولتأسيس تحديد ما لنظام يكون ممكنا على الارض ، او يكون مفهوما ومعقولا عليها على اية حال . ان ما يوقف المرء ويؤخره هو النسبة المئوية المتدنية من العقل التي تعمل ، على ما يبدو ، في الشؤون الانسانية . ومجموعتي « العروش » تعنى بحالات عقل اناس مسؤولين عن شيء يتجاوز تصرفهم الشخصي .

— اما وقد اشرفت الآن على نهاية « الاناشيد » ، فهل وضعت اية خطط لمراجعتها واعادة النظر فيها ، بعد انجازها ؟

باوند : لست ادري . ثمة حاجة الى التوسع فيها والتصفية ، والى التوضيح ، لكنني لا ادري ما اذا كان من حقي ان اعيد النظر فيها اعادة شاملة . لا ريب عندي في ان الكتابة في غاية الغموض كما هي الآن، لكنني آمل ان يكون ترتيب الصعودفي «الفردوس» باتجاه المزيد من الصفاء والشفافية . بالطبع ، يجب ان تصدر طبعة منقحة بسبب الاخطاء التي تسربت الى الطبعات الموجودة حاليا .

– دعني اغير الموضوع من جديد ، ان سمحت . اثناء جميع تلك الاعوام التي قضيتها في مستشفى القديسة اليزابيث ، هل كنت تحصل على حس بامريكا المعاصرة من زائريك؟

باوند : المشكلة مع الزائرين هي انك لا تحصل منهم على المقدار الكافي من المعارضة . انني اشكو العزلة المتراكمة، عزلة عدم حصولي على اتصال كافٍ – خمسة عشر عاما عشتها في رفقة الافكار اكثر مما عشتها في رفقة الاشخاص .

– هل لديك اية مشاريع للرجوع الى الولايات المتحدة ؟ هل ترغب في العودة ؟

باوند : لا شك انني ارغب في ذلك . لكنني لا ادري ما اذا كان دافعي هو الحنين الى امريكا لم تعد موجودة ، ام لم يكن . هذا هو الفرق بين امريكا مجردة ، امريكا آدمز – جيفرسون – آدمز – جاكسون ، وبين ما يجري فعلا في امريكا .

لا ريب ان هناك لحظات ارغب فيها رغبة شديدة في ان اعيش في امريكا . على ان هناك صعوبات معينة ثابتة ضد رغبتي العامة . ان ريتشموند مدينة جميلة لكنك لا تستطيع العيش فيها الا اذا كنت تسوق سيارة . احب على الاقل ان امضي شهرا او شهرين في السنة في الولايات المتحدة .

– قلت منذ ايام انك مع تقدم العمر تشعر انك اكثر امريكية بصورة متزايدة . كيف يحصل هذا ؟

باوند : انه يحصل فعلا . كانت العناصر الاجنبية الغريبة ضرورية لتثبيت الاساس . فالمرء يُنقل وينمو،ثم يُقتلع ويعاد الى ما كان قد نُقل منه، فاذا به لم يعد موجوداهناك. لا تعود الاتصالات موجودة ، واحسب ان المرء يرتد الى طبيعته العضوية فيجدها رحيمة.

–اذاً فقد كانت عودتك لايطاليا مخيبة للآمال ؟

باوند: دون شك . كانت اوربا صدمة لي . وجزء من الصدمة ، على الارجح ، هو الشعور بانني لم اعد في وسط، في قلب، شيء ما . ثم هناك عدم الفهم، عدم فهم اوربا، لامريكا العضوية . ثمة اشياء كثيرة لا يسعني انا ، بوصفي امريكيا ، ان اقولها لاوربي ما بحيث يكون لديّ اي امل في ان يفهم مرادي . لقد قال احد مـا انني آخر امريكي يحيا مأساة اوربا .